المكتبة الخضراء للأطفال

٥٧



طيور الأحلام

تأليف
يعقوب الشارونى

دار المعارف

رسوم
جمال قطب

المكتبة الخضراء للأطفال

(٥٧)

طيور الأحلام



تأليف
يعقوب الشارونى

رسوم
جمال قطب



دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الشارونى ، يعقوب
طيور الأحلام / تأليف يعقوب الشارونى ؛ رسوم جمال قطب
القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٦.
٤٨ ص ، ٢٤ سم — (المكتبة الخضراء للأطفال ، ٥٧)
تدمك : ٦ — ٦٩٧٨ — ٠٢ — ٩٧٧
١ — قصص الأطفال.
(أ) قطب ، جمال (رسام) .
(ب) العنوان
(جـ) السلسلة.

ديوى ٨١٣،٠٢

رقم الايداع ١٦٥٥٢ / ٢٠٠٦   ٧/٢٠٠٦/٢٣

شخصيات القصة


الملك شـاه نعمان ملك شيراز


الأميرة حياة النفوس


الأمير شهرمان ولى عهد شيراز


دادة ريحانة مربيـة الأميرة


وزير شيراز الحكيم زيدان


مـلك بابـل والـد الأميرة

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة – ج . م . ع
هاتف : ٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس : ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

١

« لَنْ أقابلَ هَؤلاءِ السُّـفرَاءَ .. قُولُـوا لَهم إنَّنى لا أفكِّرُ فى الزَّواج .. إذا أكْثَـروا مِنْ الإلْحاحِ صَارحُوهُمْ بِالحَقيقَةِ : لَنْ أتزوَّجَ .. هَلْ سمِعْتُم ؟! أنا لَنْ أتزوَّجَ !! »

وتَظاهَرَ سهمان وَزيرُ مملَكةِ بابل بأنَّه لَمْ يسمَعْ ! .. تجمَّدَتْ مَلامِحُ وجهِهِ ووقفَ فِى مكانِهِ لا يتزحزَحُ ..

بِالأمْـسِ سـألَهُ والدُها « المَلِكُ شـهابُ الدِّين » فى حَـيرَةٍ : ابْنَتِى الوَحيـدةُ ووليَّةُ عَهْدى « حياةُ النُّفـوسِ » جَميلَةٌ وذكِيَّةٌ ، لِمَاذا ترفُضُ كُلَّ مَـنْ يتقدَّمُ لِخطبَتِها ، حَتَّى إذا كانَ الأميرَ « شـهرمان » ابْنَ مَلِكِ شيراز أغْنَى المَمالكِ المجاورةِ ؟! » ...

وَلَمْ يجدِ الوزيرُ سهمان إجابَةً مُقنِعةً عَنْ سُؤالِ مَوْلاهُ !

والوزيرُ يواجِهُ وَحْدَهُ الآنَ غَضَبَ الأميرةِ ! ..

انتظَـرَ لَحَظاتٍ لعَـلَّ حياةَ النُّفوسِ تَهْدأ ، وَفِى صَـوْتٍ - جاهَدَ أَنْ يكونَ خاليًا مِنَ الانْفِعالِ - عادَ يقولُ لَهَا فِى تأكِيدٍ : « المُستقبَلُ أمامَهُ لامِعٌ كَبيرٌ .. ستُصبحينَ يومًا مَلِكَةً على بابل وشيراز معًا ! »

صوَّبَتْ عينَيْهَا إلى وَجْهِ الوزيرِ فى تَأْنِيبٍ يشوبُهُ شَىْءٌ مِنَ السُّخْرِيةِ: « إذَنْ فَهُـوَ يَسْـعَى إلى ضَمِّ المملكتَيْنِ ؟! .. الرجَـالُ لا يَبْحثُونَ إلاَّ عَنِ السُّلْطةِ أو المَجْدِ ! .. هَلْ للزَّوجاتِ مَكَانٌ فِى طُموحَاتِكُم ؟!! »

وقبلَ أَنْ يُجيبَ الوزيرُ عَادَتْ تقولُ : « هَلْ بابلُ العظيمَةُ لا تتَّسِـعُ بِمَـا فيـهِ الكفايـةُ لأكـونَ سعيـدةً بحُكْمِهَـا يومًا ؟! »

ثُـمَّ أَضافَتْ وهى تَسْتدِيرُ مُبتعِدَةً : « قُولُوا لَهُم : عَلى كلِّ واحِدٍ مِنَّا أَنْ يكتفِىَ بمَمْلكتِهِ ! »

وَلَمْ تنتظِرْ لِتسـمَعَ شَيْئًا آخَرَ ، بَلْ أسـرعَتْ تُغادِرُ القاعَةَ الذهبيَّةَ ذاتَ النُّقـوشِ النَّـادرةِ ، التى أَعدَّهَا الوزيرُ لِيلتقِـىَ فيهَا والدُهَا مَلِكُ بابل بسُـفراءِ مملكةِ شيراز ، وَاختفتْ خَلْفَ البابِ المُؤدِّى إلى أَجْنحَةِ القصـرِ التى تعيشُ فيه حياتَهَـا الخاصَّةَ ، بعدَ وفـاةِ والدتِهَا الملكةِ « فَخْرِ الزمانِ » .

٢

لَمْ يُصدِّقِ الأميرُ « شهرمان » ما سَمِعَهُ مِنْ كَبيرِ السُّفراءِ ! ..

كانَ كَبيرُ السُّـفرَاءِ قد تَوجَّهَ فَوْرَ عودتِهِ مِنْ مملكةِ بابلَ إلى الجَناحِ الَّذِى يُقيمُ فيه الأميرُ « شهرمان » ولِىُّ العَهْدِ بقصرِ والدِهِ « شاه نعمان » ملكِ شـيراز ، ونقلَ إلى الأميرِ فى كَلِماتٍ قليلةٍ أَخبارَ الرَّفْضِ الحاسِمِ الذى قابَلُوهم به فى بابلَ .

سـأَلَهُ « شـهرمان » فى ضيقٍ ودهشـةٍ : « تقولونَ إنكم عُدْتُم بغَيْرِ مُقابَلَةِ المَلِكِ ؟! »

وفـى تَعبيرٍ عَنْ عَـدَمِ الرِّضا قالَتْ كبيرةُ الوَصيفـاتِ التى صاحبَتْ جماعَــةَ السُّـفـرَاءِ : « بَـلْ حَتَّـى أنا لَمْ تَسـمحْ لى الأمـيرةُ « حياةُ النُّفوسِ » أَنْ أقابلَهَا !! »

التفتَ إليهـا الأميرُ « شـهرمـان » وقد اندفعَ الدَّمُ حارًّا إلى رأسِهِ ، فأسـرعَ كبيرُ السُّفَراءِ يُحاولُ تهدِئَتَهُ : « كُلُّ أمَراءِ الممالكِ المُجاورةِ يؤكِّدونَ أنَّهم لا يَسْمَعونَ فى قصرِ بابلَ إلا كلمةَ « لا » .

لَكِـنَّ كبيرةَ الوَصيفاتِ أضافَتْ وابتسـامةٌ تتلاعَبُ عَلَى شـفَتيْها : « ومعَ ذلك فَهِىَ أَجْمَلُ الجميلاتِ يا مَوْلاىَ ! ! » .

انقلبَـتْ ملامِحُ الأميرِ من الضِّيـقِ والغَضبِ إلى الدَّهشَـةِ البالغَةِ : « تقولينَ إنَّكِ لَمْ تُقابليهَا ؟! » .

اتسعَتِ ابتسـامَةُ الوَصيفةِ : « لكِنَّنى رأيْتُهَا وإنْ كانَتْ لَمْ ترَنى .. سيكونُ يومَ السَّعْدِ لَكَ يا سَيِّدى إذَا وافقَتْ ! » .

ارتمَـى الأميرُ عَلى مَقْعدِهِ وهو يَهْمِسُ سـاخِطًا : « النظرةُ مِنْ بعيدٍ لا تَكْفِى .. أودُّ معرفةَ شَىْءٍ عَنْ طباعِهَا وعقلِهَا .. خبراتِهَا وحِكْمتِهَا .. هَلْ يُحبُّها أهلُ بَيْتِهَا والعامِلُونَ فِيهِ ؟ » .

التفتَ كبيرُ السُّـفراءِ إلى كَبيرةِ الوَصيفَاتِ يَسْـتنجدُ بِهَا أَنْ تُجيبَ بشَىْءٍ ..

قالَـتْ : « عرفتُ مِنْ مُربِّيَـتِهَا « دادة ريحانة » أنها لا تُغلِقُ بابَها فى وَجْهِ أيةِ فتاةٍ أو سَيِّدةٍ تُريدُ تفسيرًا لِحُلْمٍ ! » .

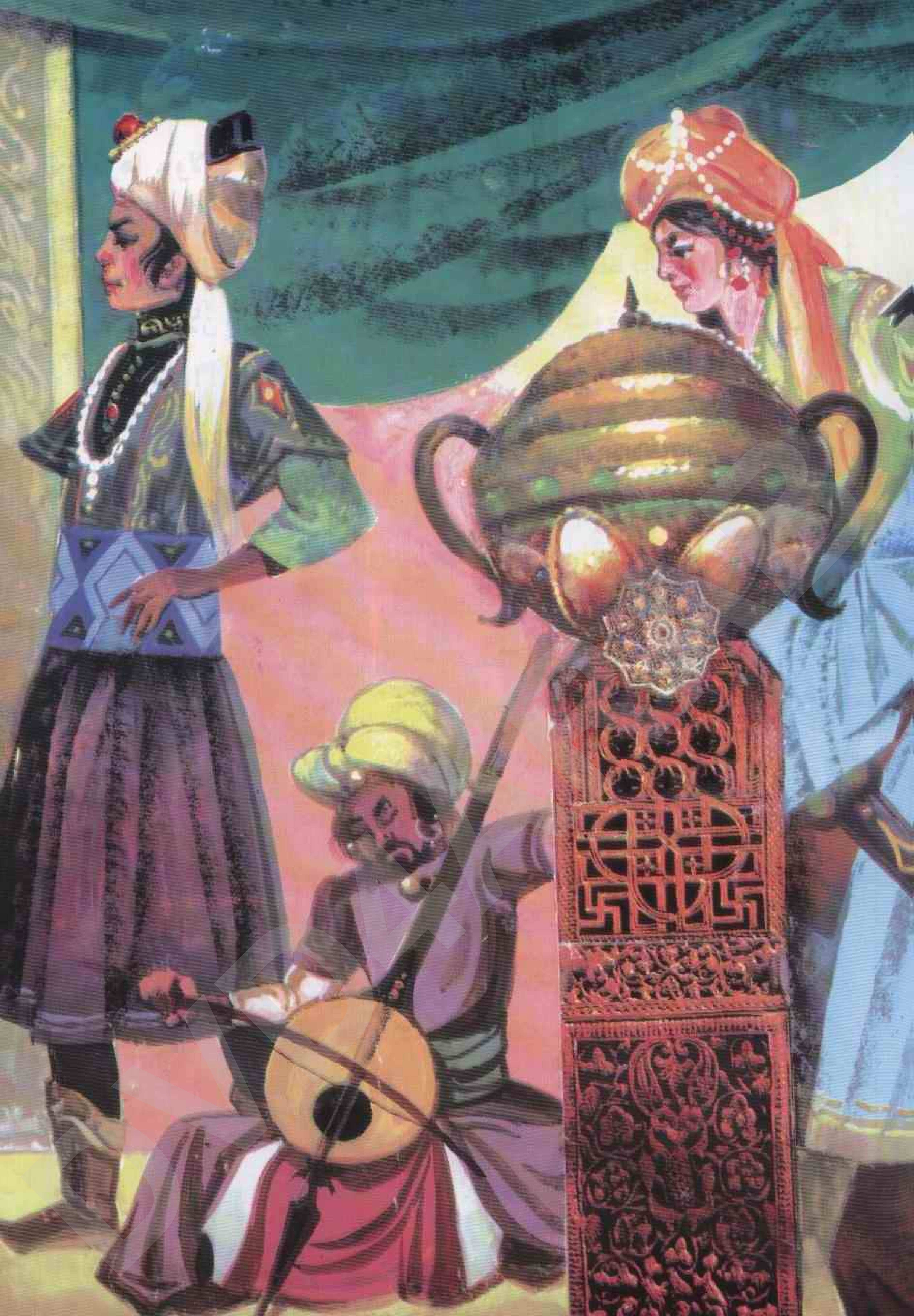
قفـزَ الأميرُ واقفًا وَقَـدْ ملأتْهُ الدَّهْشَـةُ : « هِىَ قادِرَةٌ على تَفْسـيرِ الأَحْلامِ؟!.. هَذِهِ هِبَةٌ من السَّماءِ لا يستحِقُّها إلاَّ أحكَمُ الحُكَماءِ! » .

أضافَـتْ كبيرةُ الوَصيفاتِ فى تأكيدٍ : « كُـلَّما جـاءَ ذِكْرُها أمامَ أيَّةِ سَـيِّدةٍ مِنْ شعبهَا ، تَظهرُ ابتسـامةُ الرِّضا عَلى الوُجوهِ .. هِىَ حَبيبـةُ الأطفـالِ ، ومُجفِّفَـةُ دُموعِ الكِبارِ.. قَالُوا لِى ، مَعَ جمالِهَا السَّـاحِرِ ، فهِىَ حازِمَةٌ ، طيِّبَةُ القَلْبِ وكَريمةٌ ... » .

وَلَمْ ينتظِرِ الأميرُ « شهرمان » سَماعَ شَىْءٍ آخَرَ ...

لقدِ امْتَلأَ عَزْمًا وتَصْميمًا ...





هَمَسَ كأنمَا يَرَى المُستقبَلَ عِنْدَ أطْرافِ أصابعِهِ : « لَنْ أتزوَّجَ غَيْرَهَا ، ولابُدَّ مِنَ الفوْزِ بمُوافقتِهَا ... » .

وكانَ يوَدُّ لَوْ أعلَنَ صَراحةً أنَّ « حياةَ النُّفوسِ » قَدْ ملأَتْ علَيْهِ قلبَهُ وخيالَهُ ، لكنَّهُ وجَدَ مِنَ الحِكْمَةِ أن يحتفِظَ بأسْرار عواطفِهِ لنفسِهِ، لأنَّ إصْرارَهَا عَلى الرَّفْضِ بغَيْرِ مُبرِّراتٍ وضعَ أمامَهُ كثيرًا مِنَ التَّساؤلاتِ ! !

٣

فى دهشَةٍ شَديدَةٍ نظرَ المَلِكُ « شاه نعمان » مَلِكُ شيراز إلى ابنهِ ووَلِيِّ عهدِهِ الأميرِ « شهرمان » وقالَ له فِى احتجَاج : « هَلْ نَسِيتَ أنَّنى مَريضٌ وقد يحدثُ أىُّ شَىْءٍ وأنت غائِبٌ عن المَمْلَكةِ ؟! » .

بغَيْرِ تردُّدٍ أجابَ « شهرمان » : « صِحَّتُكَ أفضلُ مِنْ صِحَّتِى يا والِدِى، وعندمَا أعودُ ومعى « الأميرةُ حياةُ النُّفوسِ » سنملأُ حياتَكَ سَعادةً ، فيَطولُ عُمْرُكَ وتهربُ منك كلُّ الأمراضِ ! » .

اعترضَ المَلِكُ : « أنتَ تُقدِّمُ لى فِراءَ الدُّبِّ قَبْلَ صَيْدِهِ ! ! .. عَرَفْتُ أنَّهَا لا تطيقُ سماعَ شَىْءٍ عَنِ الزَّواجِ ! » .

فى حَماسٍ قالَ الأميرُ الشابُّ : « لهَذا لَمْ أجِدْ مفرًّا مِنَ الذَّهابِ إليهَا بنَفْسِى ، مُتَخفِّيًا فى زِىِّ تاجرٍ مَعَ تجارَتِهِ » .

صاحَ والِدُهُ مُؤنِّبًا : « ليسَ مِنْ عادَةِ أبْناءِ المُلوكِ الذَّهابُ بأنفسِهم لاسْتِرْضَاءِ زَوْجاتِ المُستقبَلِ ! ! » .

فِى سُرعةٍ أجابَ الأميرُ: « لكنَّها أميرةٌ ليسَتْ ككُلِّ الأميراتِ ! ..





هى تُفسِّرُ الأحلامَ أفضلَ من الحُكَماءِ ! .. لذلكَ سأَصْطحِبُ معى «وزيرَنا زيدان » أحكمَ الحُكَماءِ !

هُنا أدركَ المَلِكُ الشَّيْخُ أنَّ ابنَهُ قد اخْتارَ للسَّفرِ أفْضَلَ صُحبةٍ ، وأنّه لَنْ يكونَ علَى اسْتِعْدادٍ للتَّوقُفِ أو التَّراجُعِ ، فاضطُرَّ إلى إنْهاءِ الموقِفِ وهو يتنهَّدُ فى أسَفٍ : « هَذَا معناهُ اتِّفاقُكم مِنْ وَراءِ ظَهْرى على كُلِّ شَىْءٍ !!..

اذْهَبْ إذَنْ ولا تحزَنْ إذا عُدْتَ بغَيْرِ حياةِ النُّفوسِ .. وتَذكَّرْ دائمًا أنَّكَ « الأميرُ شهرمان » ابنُ « المَلِكِ شاه نعمان » مَلِكِ بلادِ شيراز العظيمَةِ ! »

٤



فُوجِئَ الحُـرَّاسُ عَلَـى بَوَّابةِ مَدينَةِ بابـلَ بقافِلَـةٍ لم يُشـاهِدوا مِثْلَ عظمتِهـا مِـنْ قَبْـلُ ، تطلـبُ الدُّخولَ .

وعندمـا عَرفـوا أنهـا للتَّاجِـرِ الشـابِّ « بدر باسـم » القـادِمِ من شـيراز - وهِـىَ الشَّـخصيَّةُ الَتى تَخفَّـى فِيهَـا الأميرُ شـهرمان - رحَّبُـوا به ، وقـادَهُ شَـيْخُ التُّجَّار إلى دَارِ الضيافَـةِ انتظـارًا ليختارَ أحـدَ مَحلاَّتِ التِّجارَةِ الكبيرةِ وسطَ السُّـوقِ ليبيعَ فيهَـا ما جاءَ به مِنْ أقمشَـةٍ حَرِيرِيَّةٍ فَاخِرَةٍ اشـتهرَتْ شيراز بصناعتِها .

وكانَ « شـهرمان » قد عَرفَ مِنْ كَبيرةِ وصيفـاتِ قَصْرِ والدِهِ ، أنَّهَا الأقمشةُ المُفضَّلةُ عِنْدَ الأميرَةِ « حياةِ النُّفوس » .

وزيادةً فى الكِتْمانِ ، حرَصَ ألاَّ يُرافِقَهُ أىُّ واحِدٍ ممَّنْ سـبقَ وجاءوا مع السُّـفَراءِ الذيـن رفضَتْ « حياةُ النُّفوسِ » طلبَهـم ، بَلِ اصطحـبَ معـه الوزيـرَ « زيدان » وَحْـده ، وأطلـقَ عليـه لقبَ « الوكيل نجم الكاشف » إمعانًا فى التَّخَفِّى .

٥

لَمْ يكُـنْ غريبًـا أَنْ تسـتقبلَ « الأميرةُ حياةُ النَّفُـوسِ » مُـربِّيَتَهـا المَرِحَةَ « دادة ريحانـة » بعدَ عودتِهَا مُباشرةً مِنَ السُّوقِ ، فمدينةُ بابلَ لم تكُفَّ عن الحَديثِ حَوْلَ الأقمشـةِ الحريريّةِ النَّفيسَـةِ ذاتِ الرُّسومِ الخيَّاليةِ البديعَةِ التى يعرضُها التَّاجرُ الشيرازىُّ الشابُّ ، الذى افتتحَ قبلَ أيام قليلَةٍ أكبرَ مَتجَرٍ فى المدينةِ لبَيْعِ أَفْخَرِ المَنْسوجاتِ .

كانَتْ « ريحانــة » تعـرِضُ أمام سـيِّدَتِها نماذجَ مُتعدِّدَةً من أجملِ الأقمشـةِ النَّفيسَـةِ التِى أَحضرَتْهَـا ، وَهِىَ تحرِصُ بشـدَّةٍ ألا تُخْبرَ سـيِّدَتَهـا أَنَّ التاجرَ الشابَّ الوسيمَ « بدر باسم » رفضَ بشهامةٍ أَخْذَ ثَمَنِ مَا اختارَتْ مِنْ أَقْمِشَةٍ .

وَقَدْ فعلَتْ ذلك تجنُّبًا لغضَبِ سيِّدتِها إِذَا علمَتْ أن التاجرَ الشابَّ قَدْ عرفَ علاقتَهَا بالأميرةِ !

كانَ «شهرمان» أو « التاجرُ بدر باسم » ، قَدْ حَرَصَ منذُ اليوم الأَوَّلِ لافتتاح مَتجرِهِ عَلى إرسَـالِ أَجْملِ المُنادِينَ صوتًا ؛ ليطوفَ حَوْلَ قَصْرِ الملـكِ مُناديًا تحتَ نوافِذِ الأميرةِ : يُهمُّنا إعجَابُكم وليسَ دنانيرُكم .. هدفُنا مِنَ التجارةِ إسـعادُكم .. حريرُ شـيراز مِنْ متاجرِ بدر باسم .. يجعلُ الصَّبايا حُوريَّاتٍ والوَجْهَ « باسم » !

وكانَ طبيعِيًّا أن تُرسِلَ الأميرةُ مُربِّيَتَها لتجلبَ لَهَا نماذجَ مِنْ أقمشَةِ « الحوريات » هَذِه ، بعدَ أَنْ أوصَتْهَا ألاَّ تُصرِّحَ أبدًا أَنَّ لهَا صلةً بالقصرِ المَلكِىِّ .

لكنَّ المُربِّيَـةَ لَمْ تكُنْ تعـرفُ أَنَّ عُيونَ « بدر باسـم » حرصَتْ عَلى رَصْـدِ كُلِّ خارجٍ مِنْ أبوابِ القَصْرِ ، فكانَ مِن السَّـهْلِ ، قبلَ وُصُولِ « ريحانة » إلى دُكَّانِه ، أَنْ يستعدَّ لاسْتِقبالِ مُربِّيَةِ الأميرةِ !

وَلَـوْ كانَتِ الأَمِيرةُ قَدْ عرفَتْ أن التاجِرَ الشابَّ قَدْ رفضَ أخْذَ ثَمنِ بضَاعتِهِ ، لامتنعَتْ - بحَسْم - عَنْ طَلَبِ أيَّةِ أقمشَةٍ جديدَةٍ مِنْ متجرِهِ .

لكـنْ لأنَّ مُربِّيَتَها أخفَـتْ عنهَا حَقيقةَ مَا حَدَثَ ، فقدْ أَرْسـلَتْها مَرَّةً أُخْرى فِـى اليَوْمِ التَّالِى لتشترِىَ لَهَا مَزِيدًا مِنَ الأقمشَـةِ الفَاخِرَةِ التى أعجَبَتْها ألوانُهَا ورسُومُهَا .

٦

فِـى الزِّيـارةِ الثَّانيـةِ التى قامَتْ بها « ريحانة « للسـوقِ ، طافَ بِهَـا « بـدر باسـم » بنفسِـهِ كُلَّ رُكْـنٍ مِنْ أركَانِ مَتْجَرِهِ ، فانبهرَتْ وأصابَهـا الذُّهـولُ حَتَّى قالَتْ : « لَمْ يسـبقْ أنْ جـاءَ إلى بلادِنَا تاجرٌ يَتَحَلَّى بمِثْلِ ذوقِكَ المُتميِّزِ ، أَوْ يمتلكُ كُلَّ هَذَا الثَّراءِ العَظيم ! »

ثُـمَّ أضافَتْ وهـى تتأمَّـلُ مَلامحَ وجْهِ « بدر باسم » فِى محاولَةٍ لتستشِفَّ ما يُخفيهِ : « بَلْ إنَّ حديثَكَ يا سَيِّدى لَيْسَ حَدِيثَ تُجَّار ! »

دهشَ «بـدر بـاسـم» مِنْ هَـذِهِ المُلاحَظَـةِ الذكيَّـةِ التـى أبدتْها «ريحانة» ، فأسْـرَعَ يقولُ : «بضاعَتى لا يشـترِيهَا عادةً إلاَّ فئةٌ خاصَّةٌ مِـنَ الأمَراءِ وأصحابِ الذَّوْقِ الرفيـعِ ، ولعلَّنى لهذَا أختلفُ عَنْ غيْرِى مِنَ التُّجَّار».

قالَـتْ « ريحانـــة » كَأنَمَا تختـبرُهُ: « واليومَ لابـدَّ أَنْ تقبلَ ثمنَ مَا اشـتريتُـهُ مِنْ مَتْجَرِكم ، وإلاَّ منعَتْنى سيِّدتى الأميرةُ مِنْ تَخطِّى عتبـةِ بابِكُم مَرَّةً أُخْرَى » .

ابتسـمَ « بدر باسـم » وهو يقولُ فى مَرح: « أتمنَّـى لَوْ تُخبرينَها بوُضـوحٍ أنَّنِى مُصَمِّمٌ على إرْسـالِ كُلِّ ما أعجَبَها مِـنْ بَضائعى، هدية مُتواضعةً لأجْملِ الجَمِيلاتِ ! »

صاحَتْ « ريحانة » فى اسْـتِنْكار : « لعلَّكَ لا تعرفُ إذَنْ ما يعرفُهُ عَنْهَا كُلُّ النَّاسِ!! .. هى ترفُضُ أىَّ شَىْءٍ يَأْتِى مِنَ الرِّجالِ ! »

ضَحِـكَ « بـدر باسم » : « إذَنْ اقْتَرحى عَلَيْهَا الحُضورَ بنفسِـهَا ؛ لتختارَ ما يُناسِبُها مِنْ رَوائع مَا اخْترتُه لكُم مِنْ أثْوابٍ .. ! »

وتأمَّلَـتْ « دادة ريحانة » ملامحَ وجهِهِ وهـو يقولُ هَـذا الاقْتراحَ ، وتلاعبَتْ على وجهِها ابْتسَـامةٌ ، فقد تمنَّتْ مِنْ أعمَاقِ قلبِهَا أَنْ يكونَ لسيِّدَتِهَا زَوْجٌ فى مِثْلِ شَبابِ « بدر باسم » وروحِهِ المَرِحَةِ ووسَامتِهِ .

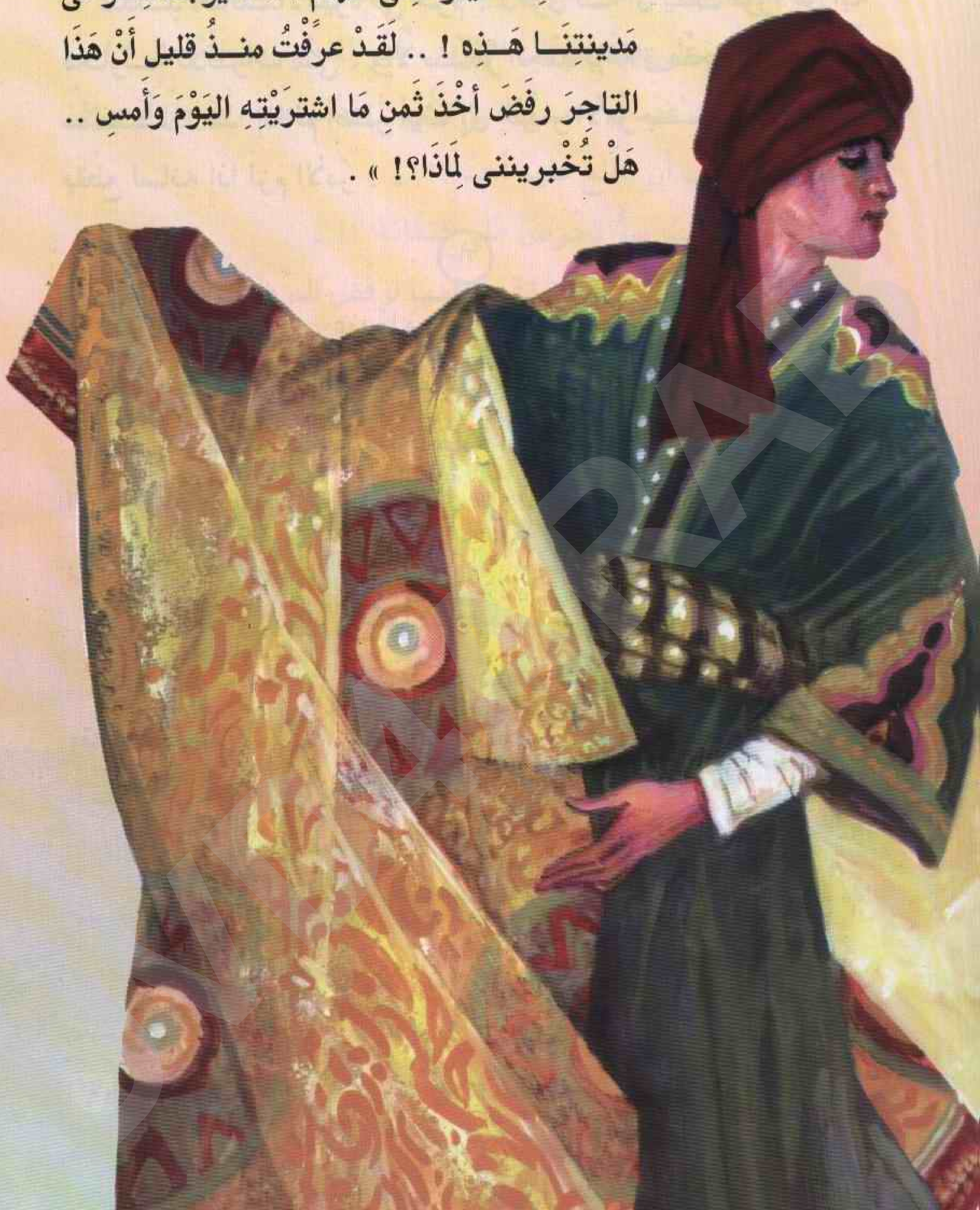
٧

عندمَـا نقلَتْ ريحانة اقْتراحَ « بدر باسـم » إلى سـيِّدتِهَا الأَمِيرةِ ، وَكأنَّهُ اقتراحُهَا هى ؛ لتشَـاهِدَ بنفسِـهَا مَا لَمْ يسبقْ أَنْ رأتْهُ مِنْ أروعِ ألـوَانِ الحرير ، أدْركتِ الأَميرةُ أنَّ فِـى الأمـْرِ شيئًا ، فسألَـتْ مُربِّيَتَهَا كأنمَا تستَجْوبُهَا فِى تَحْقيقٍ: « مَنِ الذِى أوْحَى إليكِ بِهَذَا الاقْتراحِ؟ »

ولاحظَـتِ الأميرةُ اضْطِرابَ مُربِّيتِهَا ، فَعَـادَتْ تقولُ فِى تَأنيبٍ : « أنَـا أعرفُ ألاعيـبَ الرِّجَالِ ، وإذَا كنْتُ قَدْ رفضْـتُ الأَمراءَ وأبْناءَ المُلوكِ ، فَلَنْ أقبلَ التُّجَّارَ وبائعى الحريرِ ! »

دَافعَتِ المُربيةُ عَنْ نفسِهَا : « لكنَّه لاَ يعـرفُ أَنَّ سيِّدَتى هِىَ الأَمِيرةُ ولِيَّةُ العَهْدِ ! » .

قالَـتِ الأميرةُ فِى اتّهام : « لاَ يوجَدُ سِـرٌّ فى مَدينتِنَـا هَـذِه ! .. لَقَدْ عرفْتُ منـذُ قليل أَنْ هَذَا التاجِرَ رفَضَ أخْذَ ثَمنِ مَا اشترَيْتِهِ اليَوْمَ وَأمسِ .. هَلْ تُخْبرينني لِمَاذَا؟! » .



سَكتَتِ المُربيةُ وَقَدْ فُوجِئَتْ بسيِّدَتِهَا وقد انكشَفَ الأمرُ كلُّهُ أَمَامَهَا ! .

عندئذٍ أضافَتِ الأميرةُ فِي حَزْم : « قُولى لَهُ أَنْ يكُفَّ فورًا عَنْ أيةِ محاولةٍ للاقْتراب منّى ، وإلاَّ سآمُرُ الجُنْدَ بإغلاق مَتْجَرِهِ وطَرْدِهِ مِنْ مَمْلكتِنَا ، هَذَا إذَا لم أضطَرَّ أيضًا إلى إصْدارِ الأمرِ بسَجْنِهِ ، أَوْ حتَّى بقَطْعِ لسانِهِ إذَا لَزِمَ الأمرُ ! » .

٨

فى اليَوْم التَّالى ، عندمَا ذَهبَتْ « دادة ريحانة » إلى مَتْجَرِ « بدر باسم » ، طلبَتْ فى اضْطِرابٍ مقابلتَهُ عَلى انْفرادٍ .

وفى غُرفةِ المَتْجَرِ الخلفِيَّةِ التى خصَّصَهَا بدر باسم لِعَقْدِ الصَّفقَاتِ ، جلسَتْ ريحانة تقولُ فى قلقٍ : « سَيِّدتى أساءَتْ فَهْمَ رسالتِكَ إلَيْها ! » .

فى جُرْأةٍ قالَ : « بل لعلَّها قد فهمَتْها علَى الوَجْهِ الصَّحيح ! » .

صاحَتِ المُربيةُ : « أنصحُكَ إذَنْ أنْ تُنهِىَ فورًا أعمالَكَ هُنا ، وتذهبَ بتجارتِكَ إلى مدينةٍ لا تُهدِّدُ فيها الأميراتُ بقَطْعِ لسانِ أَفْضلِ الشَّبابِ !» .

قالَ « بدر باسم » فى قلق : « تصرُّفاتُ أميرتِكم فيها شَيْءٌ غَيْرُ طبيعِيٍّ .. هِىَ لَمْ ترنى ، وتَرفُضُ كُلَّ مَنْ يتقدَّمونَ إليها بغَيْرِ أَنْ تراهُم .. هَلْ ترفضُ فِكْرَةَ الزَّواجِ أَصْلاً ولاَ تسمحُ بمناقشتِهَا فِى ذَلكَ ؟!» .

وعندما تَأمَّلَ تعبيراتِ خَيْبةِ الأَملِ التى تلاعبَتْ عَلَى وَجْهِ المُربيةِ ، تَأكَّدَ مِنْ صِدْقِ اسْتنتاجَاتِهِ ، فقالَ فى عِتابٍ صادقٍ :

« كيـفَ تقبلينَ ، وأنت مُربِّيتُها المُخلِصَـةُ ، وكأنَّكِ والدتُهَا ، أن تُصمِّمَ مولاتُكِ عَلى هَذا الموقفِ الغريبِ غيرِ المَفهومِ مِنَ الرِّجالِ ؟! .

هَـلْ هُنـاكَ عَيْـبٌ خَفِـىٌّ فِـى تَكْوينِ جسْـمِهَا ، حَريقٌ أو مَرضٌ جِلْدِىٌّ ، تخافُ أن يطَّلعَ عليهِ أحدٌ ؟! .

هَلْ فِى حياتِهَا سِرٌّ تَحْرِصُ عَلَى كتمَانِهِ ؟! .

لابدَّ أَنْ يعرفَ الناسُ حَقيقةَ دوافِعِهَا لِرَفْضِ الـزَّواجِ ، وإلاَّ انتشرَتْ حولَهَا إشـاعَاتٌ تُؤذِى سُمْعتَهـا كثيرًا ، وتُؤثّرُ علـى حَقِّها فِى تولِّى الحُكمِ يومًا وهى الوريثَةُ الوحيدَةُ لِعَرْشِ المملكةِ ! » .

هُنا لاحَظَ « بدر باسم » دُموعًا تكادُ تترقرقُ فِى عينَىْ « ريحانـة » وَهِىَ تقولُ :

« منذُ وقعَتْ عينى علَيْكَ ، تمنَّيْتُ أن تكونَ أنتَ زَوْجَ الأميرةِ التى اعتبرْتُها – دائمًـا – مِثْـلَ ابنَتِـى ، لذلـك دَعْنى أكشفُ لكَ السِّرَّ الَّذى حَرَصَتْ عليه « حَياةُ النُّفـوسِ » طَوِيـلاً ، لعلَّنا نَسْـتطيعُ معًا مُسـاعدتَها للتغلُّبِ علَى هَذا السُّلوكِ غَيْـرِ الطَّبيعِـىِّ الـذى تتمسَّكُ به ضِدَّ الرِّجالِ ! » .



٩

لَمْ يكُنْ مِنَ السَّـهلِ علَى « دادة ريحانة » البَدْءُ فى حكايَتِهَا بعدَ أَنْ كتمَتْهَا سَنواتٍ ، تنفيذًا لوصِيَّةِ سَيِّدَتِها « الأميرةِ حياةِ النُّفوسِ » .

لقـد شـدَّدَتْ عليها الأميرةُ أَنْ تنسَـى الأمرَ كُـلَّـهُ ، فالأحلامُ التى تعتبرُهَــا هى رُؤْيَا تحمِلُ إليهَا نُبوءَةً أو رسـالَةَ تَحْذِيرٍ واضِحَةً ، قد

.



يتصوَّرُهَا آخَرونَ مُجرَّدَ ألاَعيب أرْواحٍ عَابثَةٍ لا هدفَ لها إلاَّ إقلاقُ راحةِ النَّائِم ! ! .

لكنَّ ريحَانةَ وَقَدْ وجدَتِ الأمرَ قدْ تَفاقَمَ مَعَ سيِّدَتِها وازدادَ تَساؤلُ النَّاسِ حولَهُ ، أخذَتْ تبحثُ عَنْ كَلِماتٍ تُزيحُ بها السِّرّ ، وتبدأُ بِهَا الحِكَايةَ ..

وفى شَغَفٍ ودَهشَةٍ ، استمعَ « التاجرُ بدر باسم » أو « الأمير شهرمان » إلى أَعْجَب مَا سَمِعَ فى حَياتِهِ ..

١٠

كانَتِ المَلِكةُ « فخر الزمان » وَالدةُ « حياة النفوس » لا تُحِبُّ شيئًا فى الدنيَا مِثْلَ حُبِّها لِلطَّبيعةِ فى أشكالها المُختلفةِ .

لقد أصرَّتْ - رَحِمَها الله - أَنْ تُطِلَّ كُلُّ غُرَفِ أجنِحَةِ القَصْرِ المُخصَّصةِ لَهَا علَى مساحَاتٍ مُمتدَّةٍ من الأشَجارِ ، فلا ترَى إلا اللَّوْنَ الأخْضَرَ بدَرَجاتِهِ المُختلفَةِ ، يهتزُّ مَعَ النَّسيم أَوْ يتمايَلُ مَعَ العاصفَةِ ، أو تراقِبُ أسْرابَ الطُّيورِ يقودُها أقْوَى الذُّكورِ كأنه رأسُ سَهْم .

ودَفعها حُبُّها للطَّبيعةِ إلى اخْتِيارِ بقعةٍ ساحِرَةٍ كأنَّها جَنَّةُ اللهِ فى أرْضِهِ ، أقامَتْ فى وسطِهَا قصْرًا مِنْ قُصورِ الأحْلام ، تَقْضى فيه أوقاتَها عندمَا يَنْشَغِلُ زَوْجُها « المَلِكُ شهابُ الدِّينِ » بالسَّفرِ ، أو بقيادةِ الجَيْشِ لِصَدِّ عُدوانٍ ، أو مُعاوَنَةِ بلدٍ مُجاورٍ فِى إحْدى تِلْكَ الحُروبِ الَّتِى مَا إنْ تنتهِ حَتَّى تَبْدأَ مِنْ جديدٍ ! ! .

وكانَتِ المَلِكةُ حَريصةً عَلَى اصْطِحَابِ ابنتِهَا الأميرةِ « حياةِ النُّفوسِ » ، فاكتسبَتِ الأميرةُ بدَوْرِهَا الافْتِتانَ بالطَّبيعةِ ، وتشَّبعَتْ مِنْ والدتِهَا بحُبِّ الحدائقِ واللَّوْنِ الأخْضَرِ .

وكانَ لهذَا أقْوَى الآثارِ فى خَيالِ « الأميرَةِ حَياةِ النُّفوسِ » وحياتِها ، حَتَّى إنَّهَا ، بعدَ انْتِقالِ والدتِها إلى الرَّفيقِ الأعْلَى ، حرصَتْ بدَوْرِها علَى قَضاءِ كَثيرٍ مِنْ ليالِى الصَّيْفِ فى قَصْرِ الأحْلامِ وبَيْنَ أشْجارِ حديقَتِهِ المُدهِشَةِ ، الَّتِى كانَتْ آخرَ ما رأتْهُ والدتُها قَبْلَ رَحيلِهَا .

١١



ذاتَ ليلَةٍ وقد اسْتَوْلَى النَّوْمُ العَميقُ علَى الأَمِيرةِ فى ذلكَ القَصْرِ الرَّائعِ ، وجدَتْ نفسَها قَدْ نزلَتْ إلى الحَدِيقَةِ تتجوَّلُ فيهَا .

وَكَمْ كانَتْ دهشتُها عندما رَأَتْ فِى أَحَدِ الأركانِ صيَّادًا قَدْ نشرَ فَوْقَ الحشائشِ شبكةً لِصَيْدِ الطُّيور ، نثرَ فوقَها حُبوبَ القَمْحِ ثم أخْفَى نفسَهُ خلفَ

شـجـرةٍ حَيـــثُ جلسَ يُغالِبُ النُّعاسَ انتظـارًا لِلصَّيْدِ ، لكنَّ النَّوْمَ غلبَهُ قبلَ أَنْ تُغرِىَ حُبوبُ الشبكةِ طُيورَ السَّماءِ .

ولَمْ يطُـلِ انْتِظارُ الأميرةِ ، فَقَدْ أقبل طائرٌ فى حَجْمِ الحَمامِ ، فخورٌ بذَيْلِهِ الأحمرِ الطَّويلِ والرِّيشةِ الخَضْراءِ اللاَّمِعَةِ فَوْقَ رأسِهِ .. وسَرْعانَ مَا نَزَلَ مع أُنثاهُ الوديعَةِ الجَميلَةِ ، لكنَّها مِثْلُ بقِيَّةِ الإناثِ مِنْ نَوْعِهَا بغَيْرِ ذَيْلٍ أحمرَ ولا ريشـةٍ خَضْراءَ ، وتبعَتْهُما جماعةٌ مِنْ نَفْسِ النَّوْعِ قادمةٌ خلفَ قائِدِهَا صَاحبِ الرِّيشةِ اللاَّمعـةِ ، واندفعَتْ كُلُّهـا تلتقِطُ الحُبوبَ فى نشاطٍ .

ومـا هِىَ إلا لحظاتٌ حَتَّى اشـتبكَتْ قَـدَمُ الذَّكرِ القائـدِ فى خُيوطِ الشَّـبكةِ ، فَانْتَفَضَ يتخبَّطُ فِى عُنفٍ أفْزَعَ بقِيَّةَ الطُّيورِ ومعَهَا أُنثاه ، فانطلقَتْ تَطيرُ مُبتعِدَةً فى سُرْعَةٍ واضْطِرابٍ .

لكنَّ دهشَـةَ الأَميرةِ ازدادَتْ عندمَا رأَتِ الأُنْثَى تعودُ وَحْدَها بعدَ لَحَظاتٍ ، ونزلَتْ حتَّى اسـتقرَّتْ بجوارِ خُيوطِ الشَّبكَةِ ، لا تخافُ أن تسقطَ - هى أيضًا - فى الفَخِّ ! !

وَفِى جُرأَةٍ تقدَّمَتْ تنقُرُ الخُيوطَ الَّتِى اشتبكَتْ بِهَا قَدَمُ زَوْجِهَا إلى أَنْ قَرضَتْهَا .. وبفَضْلِ حُبِّهـا وصَبْرِها وشـجاعَتِهـا ، اسْتَطـاعَ القائـدُ صاحِـبُ الريشـةِ اللامعةِ أن يتخلَّصَ مـن مَصيرٍ مُفْـزِعٍ ، وأن ينطلقَ إلـى الفَضاءِ مع أنثاهُ المُخلصَةِ ، سَعيدًا بحُرِّيتِهِ .



(١٢)

عندَمـا أفـاقَ الصَّيَّـادُ مِنْ نوْمِهِ ، ولَمْ يجِدْ فى الفخِّ صَيْدًا ، حَرَصَ عَلَى إعادَةِ إخْفاءِ شَبَكتِهِ جيدًا بكَثيرٍ مِنْ أوراقِ الأشْجَارِ المُتساقطةِ ، قبلَ أنْ ينثُرَ فوقَها مَزيدًا مِنَ الحُبوبِ ، ثُمَّ عادَ يختبئُ حيثُ غلبَهُ النَّوْمُ للمرَّةِ الثَّانيةِ .

وعندما لَمْ تُشاهِدِ الطُّيورُ خُيوطَ الشبكةِ ، انخدعَتْ بحيلةِ الصيَّادِ وظنَّتْهُ انصرفَ مَعَ أدواتِ صَيْدِهِ ، فنزلَتْ مُطمئنَّةً تُعاودُ الْتِقَاطَ طعامِهَا .. لكنَّ أُنْثَى القائدِ هى الَّتِى سَرْعَانَ مَا وقعَتْ هَذِهِ المرَّةَ فِى الفَخِّ ، فراحَتْ تتخبَّطُ فى جُنونٍ وَقَدِ التفَّتِ الخُيوطُ فِى إحْكامٍ حَوْلَ سَاقِهَا.. وأفزعَتِ المُفاجَأةُ بقِيَّةَ الطُّيورِ ، فَأَسرعَتْ تبتعِدُ تشقُّ السَّماءَ بأجنحتِهَا فِى قُوَّةٍ ، يقودُها القائدُ الفَخورُ الَّذِى كانَتْ أُنثاهُ قَدْ خلَّصَتْهُ منذُ قَليلٍ مِنْ مَصيرٍ مُظلِمٍ بعدَ وُقوعِهِ فى نَفْسِ الفخِّ .

وانقضَى وَقْتٌ طَويلٌ والأميرةُ «حيـاةُ النُّفوسِ» تُراقِبُ الطائرَ الأُنثَى تُحاولُ جاهِدَةً التخلُّصَ من الشَّبَكَةِ ، فلا تزيدُها مُحاولاتُها إلاَّ إرْهاقًا ، إلى أنْ كفَّتْ فى النِّهايَةِ عَنْ محاولَةِ الخَلاصِ ! ...

وتوقَّعَـتِ الأمـيرةُ عَوْدَةَ القائِدِ قبـلَ أَنْ يصحُوَ الصيَّـادُ لِيُنقذَ أُنثاهُ كَمَـا أَنقذَتْهُ ، لكـنَّ الوقتَ الطَّويلَ انْقضَى حَتَّى أفاقَ الصيَّادُ مِنْ نَوْمِهِ ، وأسرعَ نَحْوَ الصَّيْدِ الَّذِى وقعَ فى شبكتِهِ ، فأمسكَ بالأُنْثَى وقَدْ أعدَّ لَهَا سِكِّينَهُ الحَادَّة ، وَذبحَهَا ! ! ..

١٣

أَصـابَ الرُّعْبُ الأَمِيرةَ وتملَّكَهَا الفزَعُ ، فأفاقَتْ مِنْ نَوْمِهَا مرعُوبَةً وهِـى تُحـدِّثُ نفسَهـا وتصرخُ والدُّموعُ تملأ عينَيْهَا :

« الآنَ عرفْـتُ طريقةَ الرِّجـالِ فى التعامُلِ مَعَ النِّسَـاءِ ! ! .. هَذِه رُؤيا تحملُ رسالةً يَجبُ أَنْ أتذكَّرَها دائمًا ... المرأةُ تُعَرِّضُ حياتَهَا للهَلاكِ بدافعِ الحُـبِّ والإِخْلاصِ لِتُنْقذَ رَجُلَها مِنَ المَخاطِرِ وللمحَافظةِ عليهِ مِنَ الهلاكِ ، فَـإِذَا تعرَّضَتْ هى بعدَ ذلكَ إلى مَأْزقٍ أَوْ خَطَـرٍ ، ينجُو الرجلُ بحَياتِهِ وقَدْ تناسَى كُلَّ شَىْءٍ عنهَا ، وضاعَ كُلُّ مَا فعلَتْهُ معَهُ مِنْ مَعْروفٍ ! ! »

وفـى تأكيدٍ أَضَافَتْ : « مَخْدوعة وسَـاذجَة مَنْ تَثِقُ فى الرِّجالِ بَعْدَ اليَوْمِ ! »

١٤

وختمَـتْ « دادة ريحانـة » حكايتَهَـا لشـهرمان المُتخفِّى والدُّموعُ تَنْحَدِرُ مِنْ عينَيْهَا :

« مُنـذُ ذلكَ اليَوْم لا تُطيقُ الأميرةُ أَنْ تسـمعَ حديثًـا عَنِ الرِّجالِ ، كَمَا امتنعَتْ عَنِ الذَّهابِ إلى ذلكَ البُستانِ إلاَّ مَرَّةً واحدةً كُلَّ عامٍ فى يَوْمِ



ذِكْرى وفاةِ والدتِهَـا ، فهوَ مَكانٌ أصبَحَ يُذكِّرُهَا دائمًا بالطَّائِرِ المَذْبوح ، كَمَـا ارْتبـطَ بإلحاح مَعَ مَا اسـتقرَّ فـى اعتقادِهَا مِنْ جُحُـودِ الرِّجَالِ وقَسْوتِهم عَلى النِّساءِ ! ! » .

١٥

ظَلَّ « شهرمان » يَستعيدُ مَا رسمَهُ حَديثُ ريحانة أمامَ عينَيْهِ مُتصَوَّرٌ فِيهَـا التَّرقُّبُ وفيهَا اليأسُ ، وهُوَ يسـتحْضِرُ فِـى خَيَالِهِ مَوَاقفَ ذلكَ الحُلْمِ الغَريبِ الذِى انتهَى بِتِلْكَ النهايةَ التَّعيسَةَ القاسِيَةَ !

ولاحَـظَ « الوزيـر زيـدان » كيف سَـيْطَرَ القلقُ والهَمُّ علـى مَلامِحِ شهرمان ، فاضطُرَّ أخيرًا أن يسألَهُ :

« ماذَا فَعَلَتْ بكَ تلكَ العَجوزُ ريحانةُ ؟ » .

وتَردَّدَ شـهرمان ، فقد أوصَتْهُ ريحانة بكِتْمانِ سِـرِّ سيِّدَتِها ، لَكِنَّ الوَزيرَ عادَ يُلِحُّ :

« هَل اسـتمعْتَ إلى شَـيْءٍ يَضَعُ حاجزًا بينَكَ وبينَ الأَميرةِ ؟ .. هَلْ سـبَقَ لها الزواجُ سِـرًّا أَوْ أُصيبَتْ بصَدْمـةٍ لا عِلاجَ لَهَا فِـى علاقَتِها بالرِّجَالِ ؟! » .

هَزَّ الأميرُ رأسَهُ بعُنْفٍ يُنْفِى كُلَّ ذلكَ :

« لا .. لا ... » .

وصمتَ لحظةً ثُمَّ أضافَ ليُزِيحَ عَنْ نفسِهِ عِبْءَ مَا عرفَ :

« لقد رأتْ حُلمًا ! » .

صاحَ الوزيرُ مُستخِفًّا بالأمر :

« ومنـذُ مَتَى كانَتْ أحلامُ النَّوْمِ سببًا فِى توقُّفِ دَورانِ عجلـةِ الحَياةِ الَّتِى لا تقبلُ التوقُّفَ ؟! »

صاحَ الأميرُ :

« تَذكَّـرْ أَنَّهـا خَبِيرةٌ بالأَحْـلامِ .. أحـلامُ النَّـوْمِ لَهَـا ، تأثيرٌ عظيمٌ عليهَا ! »

قالَ الوزيرُ الحَكيمُ فى إصْرار : « لابدَّ إذَنْ أَنْ تكشفَ لِى عَنْ تفاصيلِ حُلْمِهَا هَذَا ، لعلَّها أَخْطأتْ فِى التَّفْسيرِ ! »

زفَرَ الأميرُ فـى ضيقٍ كأنَّمَا الأمرُ مَفـروغٌ منـه : « التفسـيرُ واضِـحٌ لا يحتاجُ إلى عِلم أو خيَالٍ ! »

اعترضَ الوزيـرُ : « بَلْ كثيـرًا ما تُفَسَّـرُ الأحـلامُ بعَكْسِ مـا نَراهُ فيها ! » .

سـكتَ الأميرُ لحظَةً .. لَقَدْ تذكَّرَ أنَّهُ سَمِعَ تلكَ العبـارةَ ذاتَ مرَّةٍ من والدِهِ المَلِكِ ! ..

ثُمَّ عَادَ يَسْتعيدُ فِي ذِهنِهِ المواقفَ الأخيرةَ مِـنْ حُلْم الأميرةِ ، وبعدَها اسـتقرَّ رأيُهُ علَـى أَنَّ الأمـرَ ليسَ بالبَساطةِ الَّتِى تَصوَّرَهَا ..



قَالَ لنفسِــهِ : « مِنَ الأفضَلِ اشتراكُ الوَزيرِ مَعِى فِى كَشْفِ سِرِّ حُلْمِ الأَميرةِ العجِيبِ ! » .

١٦

اقترحَ الوزيرُ :

« لابُدَّ مِنْ مُقابلةِ دادة ريحانة مرَّةً أُخْرى .. »

واســتطَاعَ الأميرُ إقْناعَ ريحانــة أَنْ تأتِىَ إلى لِقاءٍ جَديدٍ ، يشــتركُ فيــهِ « الوزيــرُ الحَكيمُ زيــدان » المُتخفِّــى تَحْتَ اسْــمِ « الوكيل نجم الكاشف » .

سألَ الوزيرُ « ريحانة » :

« ذكَــرْتِ أن حديقَــةَ قصرِ الأحْلام كانَــتْ آخِرَ مـا رأتْــهُ « المَلِكةُ فخــرُ الزَّمانِ » قبــلَ رَحيلِها .. هــل أفهمُ أنهــا فارقَتِ الحياةَ فى ذلك القَصْرِ ؟ » .

قالَتْ ريحانةُ وهى لا تستطيعُ أَنْ تفهمَ سببًا لإلْقاءِ ذلك السُّؤالِ :

« أظنُّ أننِى أخبرْتُكُم بذلك ! .. أَمْ فَاتَ علىَّ أنْ أذْكرَهُ لسـيِّدِى بدر باسم ؟! » .

عادَ الوزيرُ يسألُها :

« لكِنَّنــى عرفْــتُ أَنَّ الملكةَ لَمْ تكُنْ تــذهَبُ إلى ذلــك القَصرِ إلاَّ أثناءَ غيــابِ زَوْجِها المَلِكِ شــهاب الدين عَنْ مملكتِهِ .. هــل معنَى هَذَا أنَّها غادرَتِ الدُّنيا وزوجُهَا غائِبٌ عنها ؟ » .

بدأتْ ريحانة تشعرُ بالقَلقِ مِنْ تلكَ الأسئلةِ ، فأجابَتْ فِى ضِيقٍ :

« اضطرَّ سـيِّدى الملكُ أَنْ يتركَ مليكتَهُ أثناءَ مَرَضِهَا الأَخيرِ ، ليتولَّى بنفسِهِ قيادةَ الجَيْشِ .. » .

عادَ الوزيرُ يسألُها :

« وهل كانَ يتركُ قيادةَ الجَيْشِ فى بَعْضِ الأَحْيانِ لقائدِ جيوشِهِ ؟ » .

قالَتْ ريحانة فى احْتِدادٍ : « ما علاقةُ كُلِّ هذا بحُلمِ الأميرةِ ؟!! » .

وَفِى هُدوءٍ قالَ الوزيرُ :

« إذَا كانَ فِى الإجَابَةِ سِرٌّ ، فَفِى إمكانِكِ أَنْ تُحافظِى عَلَيْهِ ! » .

قالَتْ ريحانةُ وقَدْ فرغَ صبرُهَا ، وَتُريدُ إنهاءَ الحديثِ :

« بَلْ هِىَ أُمورٌ يعرفُهَا كُلُّ أفرادِ الشَّعْبِ ، فقَدْ هَاجَمَنَا أعداءٌ أَقْوياءٌ ، وتَزايَدَ إحساسُ النَّاسِ بمَدَى الخَطرِ الَّذِى تتعرَّضُ لَهُ البلادُ ، فَلَمْ يَشَأْ مولاى الملكُ تَرْكَ قيادةِ الجيشِ لِغَيْرِهِ » .

وفى هُدوءٍ وصَبْرٍ عادَ الوزيرُ يسألُهَا :

« لكنْ هناكَ أَشْيَاءُ لم يعرفْهَا إلاَّ أهلُ القصْرِ أنفسُهم ؟! » .

سألَتْهُ ريحانة - فى احْتِدادٍ - وقَدْ تزايَدَ ضيقُهَا : « مَاذَا تقصِدُ ؟! هَلْ تُريدُ أَنْ أكشفَ لكُمْ مزيدًا مِنْ أَسْرارِ سَادَتى ؟ » .

سألَ الوَزيرُ فى بُطْءٍ وهو يؤكِّدُ على كُلِّ كلمةٍ من كلماتِهِ :

« بالرَّغْـمِ مِنْ كُلِّ ذلكَ الخطَرِ الَّذِى أَحَاطَ بالبلاَدِ ، هَلْ طلبَتِ المَلِكةُ المَريضَةُ من زَوْجِها المَلِكِ أَنْ يبقَى إلى جوارِهَا ؟ » .

قالَتْ ريحانةُ فى حَماسٍ كأنما تُدافعُ عَنْ ذِكْرى مَوْلاتِها :

« هى مُجرَّدُ جُملةٍ عابـرةٍ قالَتْها ذات ليلةٍ عندما اشتدَّتْ عليْهَا آلامُ المرضِ...» .



ثم توقَّفَت فجأةً عَنْ حديثِهَا وقالَتْ مُستدركَةً :

« لاَ أعتقدُ أنها قصدَتْ مَنْعَ مَولاىَ مِنْ أداءِ واجبهِ ! » .

ثُــمَّ تمهَّلَتْ وهــى تُضيفُ ببُطْءٍ ، وقد تذكَّرَتْ أشـياءَ حاولَتْ دائمًا نِسْيَانَهَا : « لكنَّ الأميرةَ حياةَ النُّفوسِ سألَتْنى بَعْدَها فى جزعٍ شَديدٍ : كيفَ هَانَ علَى والدى تَرْكُ والدتى تُنازِعُ المَوْتَ وهو غائِبٌ عنها ، بعدَ أَنْ طلبَتْ منه البقاءَ إلى جوارها ؟! ! » .

وأضافَتْ ريحانة : « لقد حاولْتُ كثيرًا أَنْ أشـرحَ للأميرةِ مُتطلّباتِ الواجبِ وَضُغُوطَهُ ... » .

ثُــمَّ أضافَتْ فِى أَســى : « وَلاَ أعتقِدُ أَنَّهَا اقتنعَــتْ كثيرًا بما قُلْتُ ، لكنَّهَــا توقَّفَت فجــأةً عَنِ الحديثِ مَعِى حــولَ هذا المَوْضُوعِ ، وكَتَمَت خواطِرَهَا عَنْ كُلِّ المُحِيطِينَ بها .. ! » .

سألَهَا الوزيرُ : « كَمْ كانَ عُمرُها عندَما رحلَتْ والدتُهَا ؟ » .

قالَتْ ريحانةُ وقد عاودَتْهَا أحزانُ وفاةِ سيِّدَتِهَا المَلِكَةِ :

« كانَتْ فِى حوالى الخَامِسةَ عَشْرةَ مِنْ عُمْرِهَا ! » .

همسَ الوزيرُ لنفسِــهِ بغَيْرِ أَنْ يُصرِّحَ لأحدٍ بهواجِسِهِ : « إنَّهَا السِّنُّ الَّتِى تطْغَى فِيهِ العواطِفُ عَلى تقديرِ المَسْئُولياتِ والواجبَاتِ ! » .

١٧

تزايَدَتْ دهشةُ شهرمان عندمَا وجَدَ وزيرَهُ زيدان يطلُبُ مِنْ ريحانة أَنْ تُدبِّرَ له زيارةً لقصْرِ الأَحْلامِ وحَدِيقتهِ .

وعندمَا عَادَ الوزيرُ مِنَ الزيَارةِ ، سَمِعَ منه شهرمان كيفَ صدمَهُ ما اكتشفَهُ مِنْ تسللِّ الإهْمَالِ إلى القصْرِ وحَدِيقتهِ ..

قالَ الوزيرُ لأميرهِ : « يُحيطُ بحدائِقِ ذلكَ القَصْرِ جدارٌ مُرتفعٌ ، هو أكثرُ الأجزاءِ تأثرًا بالرطُوبةِ والإهمَالِ .

وقَدْ صادقْتُ المُشرفَ عَلَى القَصْرِ ، فعرفْـتُ أنَّهُمْ لا يتذكَّرونَ القصرَ والحديقــةَ إلاَّ قبــلَ مَوْعِدِ زيَــارةِ الأَميرةِ فِي ذِكْرى وفــاةِ والدتِهَا ،



لكِنَّنى اتَّفقْتُ معــه عَلى البَـدْءِ مُبكِّرًا هَـذا العَامَ فى الإعْـدادِ لتلكَ الزيارةِ » .

سـأَلَ الأمـيرُ وهو يُحاولُ اكْتِشـافَ السـرِّ وَراءَ تصرُّفـاتِ وزيرِهِ ومُستشـارِهِ : « هَلْ تقصـدُ أَنْ تُطيلَ الأمـيرةُ زيارتَهَا للقصْـرِ لَعَلَّهَا تَأْنسُ بِهِ ؟ » .

قَـالَ الوزيرُ وعيناهُ تلتمِعَانِ بالحَيَويَّةِ والذَّكاءِ : «بَلْ لِى هَدفٌ أقْوَى



أثرًا مِنْ هـذَا .. إنَّنى أَبحثُ عَنْ أكبرِ فنَّانٍ مُصوِّرٍ ليُزيِّنَ بلَوْحاتِهِ الَّتِى يرسمُهَـا جُدرانَ سُـورِ الحَديقَةِ بعـدَ ترميمِهَا ، لِكَىْ يُبْـدِعَ فَنُّهُ مَعَ نباتَـاتِ الحَدِيقةِ وزهُورِهَا ، تكاملاً يؤكِّدُ مَا يتناقلُهُ الناسُ عَنْ جمالِ قَصْرِ الأحلامِ وَحَديقتِهِ » .

تَعجَّبَ شهرمان منْ طريقةِ الوَزير فى التفكير ، فَهَمَسَ لنفسِهِ : « مَا علاقةُ تَرْميم سُـور القَصرِ ، بالفنَّانِ الرسَّام ؟! .. هل يُمْكِنُ أَنْ يُقدِّمَ أىُّ فنَّانٍ مَا يفوقُ فِى جمالِهِ إبداعَ الطبيعةِ وروعتَها ؟! » .

لكنَّـهُ رأى أَنْ يـتركَ الوزيرَ يُنفِّذُ خُطَّتَـهُ ، إلى أَنْ يتوصَّلَ هو إلى شَـىْءٍ يَستطيـعُ بـهِ مُوَاجَهةَ تلكَ الأسـرارِ العَجيبةِ الَّتِى سَمِعَها مِنَ ريحانة وَصيفَةِ حياةِ النُّفوسِ .

١٨

فِى يَـوْمِ ذِكْرى وَفاةِ والِدَةِ الأَمـيرةِ ، وهُوَ يَوْمُ الزيارةِ السَّنويَّـةِ الَّتِـى اعتَادَتْ أَنْ تقومَ بِهَا الأَميرةُ لقَصْـرِ الأَحْلام ، فوجئَتْ قبلَ أَنْ تدخُلَ بالحَوائِطِ الخارجيَّةِ لِلسُّـور الَّذِى يُحيطُ بحَدائِقِ القَصْرِ وقَدْ تَمَّ تجدِيدُهَا عَلَى نَحوٍ كامِلٍ .

سـألَتِ الأميرةُ مُربِّيَتَها فى دهشـةٍ : « لأولِ مـرَّةٍ أجِدُهم يَهتمُّونَ بسُورِ الحَدِيقةِ كُلَّ هَذَا الاهتمَام ! » .

قالَتِ المُربيةُ ريحانة : « فِى هَذَا العام لاحظْتُ أَنَّهُم يسـتعِدُّونَ منذُ شُهور لزيارتِكِ السنويَّةِ هَذِهِ يا مولاتى » .

ودخلَتِ الأميرةُ الحَديقةَ ...

كانَتْ تعتزمُ التوجُّهَ مُباشرَةً لدُخولِ مَبْنَى القَصْرِ ، عندمَا اسْتوقفَهَا شَيْءٌ ، فصاحت : « انْظُرِى يا ريحانة !.. ما أجملَ هذِه الرسومَ التِى أراهَا عَلَى حوائِطِ السور » .

وتظاهـرَتْ ريحانة أنهَـا فوجِئَتْ مِثْـلَ سـيِّدَتِها ، فَصَاحَتْ هى الأخْرَى :

« بـل هى لَوْحاتٌ تُثـيرُ العَجَبَ أيضًا يا مولاتى ! .. تُذكِّرُنى بذلك الحُلْم الغَريبِ الذى رأيْتِهِ يَوْمًا فى منامِكِ ! ! » .

ونَسِـيَتِ الأميـرةُ اعتزامَهـا التوجُّهَ إلى مَبْنَـى القَصْرِ ، ووقفَتْ تتأمَّلُ فِى دهشـةٍ اللَّوْحـاتِ فائقـةَ التعبيرِ الَّتِى كانَتْ تتوالَى واحدةً بجوارِ الأخْرَى علَى جِدارِ السُّور...

قالَتِ الأميرةُ وقد ازدادَتْ دهشتُها : « تأمَّلِى مَعِى يا ريحانة .. هَذَا صيَّادٌ ينصبُ شبكتَـهُ لتكونَ فخًّا للطُّيورِ ! ! » .

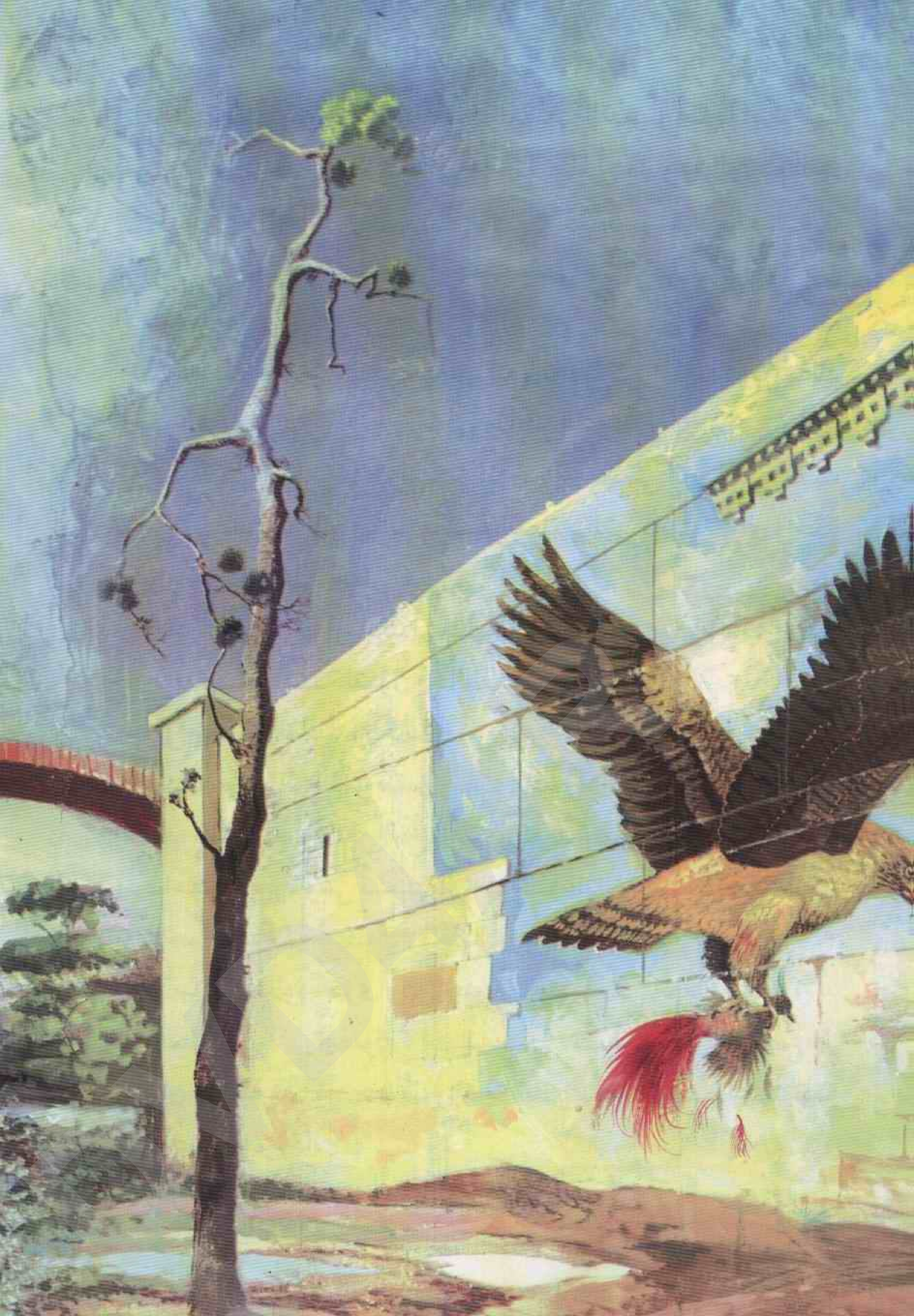
وفى حماسٍ أضافَتْ ريحانة :

« وهذا هُوَ الطائرُ الذكرُ بنفسِ ريشَتِهِ الخضراءِ اللامعةِ فَوْقَ رأسِهِ وذيلِهِ الأحْمرِ الطَّويلِ قَدْ وقعَ فِى الفخِّ ، بينمَا طارَتْ بقِيَّةُ الطُّيورِ خائفةً ! ! » .

صاحَتِ الأميرةُ وهى تُشـيُر إلى اللَّوحَـةِ الثَّالثةِ : « وها هِىَ الأنْثَى تنقرُ حِبالَ الشَّبكةِ لتُخلِّصَ زَوْجَها بينمَا الصيَّادُ نائمٌ ! » .

ثمَّ سارَتْ خُطوةً أُخْرى وهى تصيحُ بالوَصيفَةِ فى انْفعالٍ بالغ :

« هذا شَـيْءٌ غيرُ مَعْقُولٍ ! ! .. إنَّهُ حُلْمِى قَدْ نقلَتْهُ يدُ رسَّام مُبدِع إلى جُدرانِ حَدِيقةِ قَصْرِنا ... تأمَّلِى الصيَّادَ قَدِ استيقظَ وعَادَ ينصَبُ شبَكتَهُ مرَّةً أُخْرَى يا ريحانة ! » .





ثمّ أكملَتْ فى حُزنٍ وكآبةٍ :

« وها هِيَ الأنْثَى تقعُ فى الفَخِّ ، والذَّكَرُ يَطيرُ مُبتعِدًا عنها مع بقِيَّةِ الطُّيور ، وينساها ! » .

هتفَـتْ ريحانة فى أسَـى : « لَيْتَهُ النسيانُ يا مولاتـى ! ... هنا يا سَيِّدتى شَيْءٌ غابَ عَنْ عينَيْكِ ! ! » .

وأمامَ اللوحَةِ الأخيرةِ ، وقفَتِ الأميرةُ صامتةً مَذهولَةً وقَدْ أصابَتْها الحيرةُ بصَدمَةٍ بالغةٍ .. كانَ هناك نسـرٌ جارحٌ قَدِ انقضَّ على سِـرْبِ الطُّيورِ الهاربَةِ ، وأمسَـكَ الذَّكرَ الفَخـورَ بيْنَ مَخالبِهِ ، وراحَ يُمزِّقُهُ بمنقارِهِ الحادِّ ! ! ...

واخْتنَقَ صَوْتُ ريحانةِ بالدُّموعِ وهى تقولُ مِنْ بَيْنِ تنهُّداتِهَا :

« يا لَلْمِسـكينِ ! .. قتلَهُ المُعتدِى فمنعَـهُ إلى الأبدِ مِنَ العَوْدَةِ لإنقاذِ أُنثاه ، فذبحَهَا الصيَّادُ ! » .

تحَشْرَجَ صَوْتُ الأميرةِ باللَّوْعَةِ والأسَى :

«هَذه نِهايَةٌ غابَتْ عَنْ حُلْمِى .. » .

قالَتِ الوصيفةُ مُواسِـيَةً : « أفزعَكِ منظرُ الصيَّادِ وهو يقتلُ الأنثى ، فاسْتيقظْتِ وقَدْ أصابَكِ الرُّعْبُ قبلَ أنْ يكتملَ حُلْمُكِ ! ! » .

ثُمَّ أضافَتْ كأنَّما هو خاطِرٌ جاءَها فى تلك اللَّحظَةِ :

« أو لعلَّ الفنَّانَ الرَّسَّـامَ قَدْ حلـمَ نَفْسَ الحلْمِ ، ولَمْ يفزعْ كمَا فزِعْتِ يا مولاتى ، فرأى الحـُلْمَ حَتَّى نهايتِهِ ... » .

ثم تمهَّلَتْ قبلَ أنْ تَقولَ فى تأكيدٍ :

« لقد وصلَتْهُ الرسالةُ كاملةً يا سيِّدتى ! ! » .

١٩

كانَ المرحُ يسودُ هذه المرَّةَ الاجتمَاعَ الَّذِى تَمَّ عَقْدُه فى غرفَةِ الصَّفقاتِ بمَتْجَرِ شهرمان .

جلسَ « الأمير التاجر » يَسْتمِعُ فى شَغَفٍ هو « والوزيرُ الحكيمُ زيدان » إلى دادة ريحانـــة ، تنقلُ إليهمَا كيفَ وقفَتِ الأميرةُ « حياةُ النُّفوس » لا تتحــرَّكُ أمامَ آخر لوحةٍ علَى حائِطِ البُسْـتانِ ، وَقَدِ اسْـتغرقَتْ فى تَفْكير عميقٍ والدُّموعُ تترقْرقُ فــى عينَيْها ، وَهِىَ تتأمَّلُ ذلكَ النسـرَ المُتوحِّــش يُمــزِّقُ قائدَ الطُّيورِ بعدَ أَنْ نزعَ تاجَــهُ الأخضرَ ولوَّثَ ذَيْلَهُ الأحمرَ الزَّاهِىَ بدِمائِهِ الداكنةِ .

قالَ الوزيرُ الحكيمُ :

« ليســتْ هَذِه إلاَّ الخطوةَ الأُولى ، فمعَ ثِقَتِى أَنهَا اقتنعَتْ بعَقْلِهَا كيــفَ تَجنَّتْ كثيرًا علــى الرِّجالِ فى فَهْم مَعْنَــى حُلْمِهَا ، فليسَ مِنَ السَّهْلِ أَنْ تتغيَّرَ مَشَاعِرُها نَحْوَهم بنفْسِ السُّرْعةِ » .

صَاحَ الأميرُ في انْدِفاع :

« يكْفِى أنَّهَا أدْرَكَتْ أخيرًا عدمَ سـلامَةِ تفسـيرِهَا فانفتحَ السَّبيلُ أَمَامِى لأتقدَّمَ لِخِطبتِهَا ... لكنْ كيفَ أنقلُ إليها نَبْضَ مشاعِرِى وَحقيقةَ شَخْصِيَّتِى ؟! » ..

ضحكَتْ ريحانةُ فى مُحاولَةٍ لتهدِئَةِ انْفعالِ الأميرِ :

« هى الآن تعرفُ شـيئًا عَنْ مشاعرِكَ ، فقد أصبحَتِ الأميرةُ لا تملُّ مِنَ الاسْتِماعِ إلى حَدِيثى معَها عَنْ تقديرِى للشابِّ الوَسيمِ « بدر باسم » الذى لا يكُفُّ عن إبْداءِ الإعْجابِ بها ! » .

ظهرت ابتسامةٌ على وجهِ الأمير بينمَا أضافَ الوزيرُ : « أمَّا عن حقيقةِ شخصيَّتِك ، فقد اضطررْتُ أنْ أكشفَ عنهَا لدادة ريحانة لِكَىْ تُساعِدَنا علَى وَجْهٍ أفْضَلَ ! .. فَهَلْ تُفَضِّلُ يا مولاَىَ أنْ يتقدَّمَ الآنَ لخِطبةِ الأميرةِ « التاجرُ بدر باسم « أم » الأمير شهرمان ؟! » .

ثُمَّ قالَ فى لهجَةٍ جَادَّةٍ : « لكنْ تَذَكَّرْ يا مولاى أنَّ ولِىَّ عَهْدِ مملكةِ شيراز لا يأتى لِخطبَةِ أميرةٍ إلاَّ فى مَوْكبٍ يليقُ به ، بعدَ أنْ تكونَ البلدُ قَدِ استعدَّتْ كُلُّها لاسْتقبالِهِ ! » .

ووجدَتْ ريحانة ضَرورة أنْ تتدخَّلَ فى الحديثِ ، فقالَتْ : « لَمْ يسبقْ أنْ تَقدَّمَ لِخِطبةِ « مولاتى حياةِ النُّفوسِ » إلاَّ أُمراء ، وهى تتصوَّرُ دائمًا أنَّهُمْ يَطْمَعونَ فى ضَمِّ مملكتِنا إلى مَمَالكِهم ... لَمَاذا لا نُجرِّبُ أنْ يتقدَّمَ إليْهَا هَذهِ المَرَّةَ « تاجرُ الحَرير بدر باسم » وليسَ « الأمير شهرمان » ؟ » .

هَنَّأ الوزيرُ ريحانة على صَوابِ تَقْديرِهَا للأُمور ، فأضافَ الأميرُ شهرمان : « عَلَيْنا إذَنْ تدبيرُ لقاءٍ يتعرَّفُ فيه أحدُنا عَلى الآخرِ ، بغَيْرِ أنْ تشعرَ الأميرةُ أنَّنا نقصدُ تحقيقَ غرضٍ مُعيَّنٍ » .



قالَ الوزيرُ زيدان وهو يقصدُ أَنْ يُوحِىَ لريحانة بنَوْعِ اللِّقاءِ : « ولعلَّكِ لا تَعْرفينَ يا ريحانةُ أَنَّ الأَميرَ شهرمان بَطَلٌ مِنْ أبْطالِ الفروسيةِ ، وأعظَمُ الأبطالِ فى المُبارزةِ ومهاراتِ ألعابِ الخَيْلِ ... ! ».

تَعاونَـــتْ « دادة ريحانـــة » مَـعَ « الوزيرِ ســهمان » وزير مملكةِ بابل ، فى الإيحاءِ للأميرةِ « حياة النفوس » بخطَّتِهما .

قالَتْ دادة ريحانةُ للأميرةِ : « مِنَ المُهِمِّ تَغييرُ الصُّورَةِ الَّتِى ارتسمَتْ أمامَ الناسِ بشأنِ موقفِكِ من الرِّجالِ » .

وفـى لهجةٍ أبَويَّـةٍ حانِيَةٍ ، قـالَ الوزيرُ الَّذى طلبَـتْ منه « دادة ريحانة » أنْ يعملَ معهَا لبناءِ جُسورٍ جَديدَةٍ مِنَ الثقةِ بينَ ولِيَّةِ العهد ورجَالِ شـعبهَا : « الحاكمُ يجبُ أنْ يكـونَ متوازنًـا فـى تعامُلِه معَ الرجالِ والنساءِ فى مملكتِهِ .. كيف نرفضُ وَضْعَ الثقةِ فى الرجَالِ وهُمْ نِصْفُ المُجتمَعِ يا مولاتى ؟! » .

قالَـتِ الأميـرةُ فى حيرَةٍ : « وَمِـنْ أيْنَ أبدأُ بعدَ أنْ بدأْتُ أَقْنعُ نَفْسى أنَّ تصرُّفاتِ الرجَالِ قَدْ تكونُ لَهَا أسـبابٌ غَيْرُ التى تظهرُ أحيانًا أمامَ أبصَارِنَا ؟ » .

قالَ الوزيرُ : « نُعلِنُ مثـلاً أنكِ ستشاركينَ والدَكِ ، لأولِ مرَّةٍ ، فـى مُشاهدَةِ مباراةٍ بينَ شبابِ الفُرْسانِ ! ... » .

ونطـقَ كلمةَ « شـباب » فى بُـطْءٍ ليُؤكِّدَ عليهَا فى ذاكـرةِ الأميرةِ وعواطِفِها !

أمَّـا دادة ريحانة فقـدْ كانَتْ تأملُ أنْ تتعـرَّفَ مولاتهَا خِلالَ تِلْكَ المُبارياتِ علَى « بدر باسم » زهرةِ الشبابِ .

□□□

لـَـمْ يوافقِ الملكُ على إقامَـةِ احتفـالِ المبارياتِ إلاَّ بشـرطٍ أنْ تكونَ المُسابقاتُ تمهيدًا لتختارَ الأميرةُ زَوْجًا لَهَا مِنْ بَيْنِ شَبابِ الفائزينَ !.

قالتِ الأميرةُ فى احْتِجاج :

« كيفَ نطمئِـنُّ كلَّ الاطْمِئنانِ إلى فائـزٍ فـى مباريـاتٍ ؟! .. هـل مُجـرَّدُ الفَوْزِ يجعلُهُ زوجًا أرتاحُ إليه أو أجدُ السعادةَ معه ؟! كيف نثقُ أنه سيكونُ أفضلَ مَنْ يُشاركُنى الحكْمَ ذاتَ يَوْمٍ ؟ » .

رفَضَ المَلِكُ أَنْ يتزحْزحَ عَنْ رأيـهِ ، وراحَ يؤكِّدُهُ فى إصْرارٍ : « أنَا مُتمسِّـكٌ بهَذا الشَّرْطِ ، فَلَنْ أقبلَ بَعْدَ اليَـوْمِ أنْ تتلاعَبى بأحْـلامِ الشبابِ ! » .

تحايلَـتِ الأميرةُ وقدْ رأتْ مِقْدارَ تمسُّـكِ والدِهَا بشرطِهِ : « إذَنْ نجعـلَ هَذَا الشَّرْطَ سرًّا بينَكَ وَبيْنِى يا وَالِدِى ، لِكَىْ لا نتـورَّطَ فـى الموافقةِ عَلـى زوجٍ قَدْ تكونُ أنتَ أوَّلَ مَنْ ترفضُهُ ! » .

وسـكتَ الملكُ لحظـةً يُفكِّـرُ فـى حُجَّـةِ ابنتِـهِ ، لكنّـه لَمْ يوافِـقْ إلاَّ عندَمـا أضافَـتْ : « ولتشـجيعِ شـبابِ الفُرْسـانِ عَلى المُشـاركَةِ فى هَذِهِ المُبارياتِ ، نُعلِنُ أنّنـى سـأقومُ بنفسِـى ، ولأوّلِ مـرَّةٍ ، بتسـليمِ الفائزينَ مـا تمنحُهُ جلالتُكَ لهم مِنْ جوائزَ ونياشينَ » .



جَلسَتِ « الأميرةُ حياةُ النُّفوسِ » بجوَارِ والدِهَا « المَلِكِ شهَاب الدين » عَلى مقعدَيْنِ مُتجاورَيْنِ ، فوقَ منصَّةٍ عاليَةٍ تُشرفُ على الميدانِ الرئيسِيِّ المُتَّسِعِ أمَامَ القصْرِ الملكِيِّ ، حيثُ ستُقامُ أكبرُ مباريَاتٍ للفروسيَّةِ تشهدُهَا مملكةُ بابلَ .

وبدأَتِ المُباريَاتُ ، فلاَحظَتِ الأميرةُ مِنْ بَيْنِ المُتسابقِينَ فارسًا يُخفِي وجهَهُ وراءَ قِناع ، فلمَّا سألَتْ عنه قَالَ لها الوزيرُ سهمان :

« إنَّه مُتسابقٌ رَفضَ أَنْ يُعلِنَ عَنْ شخصِيَّتِهِ وهو يقولَ : اجْعَلُوا مَهاراتى تُعلِنُ عنِّى ! ! » .

وكانَتْ مُفاجأةُ الحفلِ أَنَّهُ بدأَ بمباراةٍ شديدَةِ الخُطورةِ فى ترْويضِ فَرسٍ جامِحَةٍ شَديدةِ العُنفِ ، تشُبُّ عَلى ساقَيْها الخلفيتيْنِ كُلَّمَا اقتربَ منهَا فارسٌ ، وتضربُ الأرضَ بحوافرِهَا - كأنَّما تدكُّها دَكًّا - كُلَّما حاولَ مُتسابقٌ أَنْ يلمسَهَا .. ! .

وأَخِيرًا تَقدَّمَ ذلكَ الفارِسُ صاحبُ القِناع ، وتَحايَلَ حَتَّى جعلَ أشِعَّةَ الشَّمسِ فـى مواجَهةِ عينَى الفرَسِ ، فأصبحَ ظِلُّها خَلْفَها ... وسرعانَ مَا اسْتطاعَ أَنْ يعتلِىَ ظَهْرَهَا ... لقدْ أدركَ أن الفرسَ تخافُ مِنْ ظِلِّها كُلَّمَا تحرَّكَتْ ، فجعلَهُ خلفَها لكى لا تَراهُ .

وارتفعَ هُتافُ النَّاسِ وَتصفيقُهم ، ليسَ فقطْ لشجَاعتِهِ ، بَلْ لذكَائِهِ وَحِكمتِهِ ..

همسَتِ الأميرةُ لنفسِها :

« هَا هُوَ فارسٌ يَجْمَعُ بينَ الحكْمَةِ والشَّجَاعةِ » .





والغريبُ أَنَّ ذلكَ الفارسَ نفسَهُ هُوَ الذى فَازَ بسُهولةٍ فى مُختلفِ مُسابَقاتِ المُبارَزةِ ! .

وعندمَا جاءَ دَوْرُ ألعابِ الخَيْلِ ، وقفَ ذلكَ الفارسُ عَلى ظَهْرِ حصانِهِ يَجْرِى به حَوْلَ السَّاحَةِ بغَيْرِ أَنْ يسقطَ أَوْ يفقدَ توازُنَهُ ، ثُمَّ تَعَلَّقَ بالسَّرجِ والجماهيرُ يتعالَى تصفيقُهَا إعْجَابًا بجَسارتِهِ ومهَاراتِهِ ، والهتافُ يتكرَّرُ مُدوِّيًا :

« يعيشُ الفارسُ المُقنَّع » .. « الجائزةُ لصاحِبِ القِناعِ ! »

وكانَ مِنَ الطبيعِىِّ أَنْ تُعلِنَ لجنةُ الحُكَّامِ فَوْزَ ذلكَ الفارِسِ ، ثُمَّ تطلبَ منه أَنْ يتقدَّمَ إلى مَلِكِ البلادِ ليُعلِنَ عَنْ شخصيَّتِهِ ، ويتسلَّمَ مِنَ الأَميرةِ أَرْفَعَ الأَوْسمةِ والجوائزِ .

وَفِى ثقةٍ تقدَّمَ الفارسُ صاحبُ القناعِ نَحْوَ عرشِ المَلِكِ ووَلِيَّةِ عهدِهِ ، وَانْحنَى فى رشَاقةٍ وهو يقولُ :

« أقدِّمُ انتصَارَاتى إلى مولاَتى الأميرةِ ولِيَّةِ العَهدِ ، لعلَّها تقبلُنى فارسًا لها ! » .

قالَ الملكُ فى إعجابٍ وسعادةٍ : « دَعْنا أولاً نتعرَّفُ عليْكَ ، لأنَّكَ جمعتَ اليَوْمَ بينَ الحكْمةِ والشَّجاعةِ ! » .

هُنَا تَحَرَّكَ الفارسُ إلى يَسَارِ المنصَّةِ ، فأصبحَ يُواجِهُ الجماهِيرَ المُحْتشِدةَ الَّتِى تهتفُ له ، وفى الوقْتِ نفسِهِ يستطيعُ رؤيةَ المَلِكِ والأميرةِ ... ثم رفعَ يَدَيْهِ ونزعَ القِناعَ ببُطْءٍ عَنْ وجهِهِ ..

وارتفعَتْ فِى السَّاحةِ صَيحاتُ دهشَةٍ عاليةٌ :

« تاجرُ شيراز « .. « بدر باسم !! .. » .

وأصَابَ القلقُ المَلِكَ عندما سَمِعَ كلمة « تاجر » ، بينما ابتسمَتِ الأميرةُ راضيةً ، فقد عرفَتْ كثيرًا مِنْ مُربيتها عن « التاجر بدر باسم » وعَنْ نُبْلِ أخلاقِهِ وحكْمةِ تصرُّفاتِهِ واتّساعِ أُفُقِهِ وثقافتِهِ .

أمَّا الملكُ ، فإنه فِى قَلَقٍ وبغَيْرِ حَماسٍ سَأَلَ الشابَّ الَّذِى يقفُ أمامَهُ :

« هَلْ أنتَ فارسٌ أم تاجِرٌ ؟!! » .

وقاطَعَ هُتافَ الجماهير سُؤَالَ المَلِكِ : « يعيشُ الفارسُ بدر باسم ».

وفى هُدوءٍ قالَ الأميرُ للملِكِ : « لقد عرفَنى أهلُ بلدِكُم علَى أنَّنِى « التاجرُ بدر باسم » ، وَأَستأذنكُم أَنْ تعرِفُوا الآنَ يا مَوْلاىَ أنَّنِى « الأميرُ شهرمان » ولِىُّ عهدِ مملكةِ شيراز » .

واختلطَ الأمرُ على الملِكِ ، فمالَتِ ابنتُهُ الأميرةُ عَلى أُذنِهِ هامسَةً :

« إنه أميرٌ جاءَ مُتخفِّيًا كتاجِرٍ ... »

وازدادَ الأمرُ غُمُوضًا عَلى المَلِكِ ، فهمَسَ لابنتِهِ فى ضيق :

« ولماذَا لَمْ يأتِ كأميرٍ وولِىٍّ للعهدِ ؟! كُنَّا سنُكرمُهُ أَفْضَلَ إكرامٍ !» .

وزادَ ابتسامُ الأميرةِ وهى تتأمَّلُ وسَامةَ الأمير وشبابَهُ ، فتهمِسُ لنفسِهَا :

« كيفَ أَجْعَلُ والدِى يفهَمُ حِيَلَ الشبابِ لِلْوُصولِ إلى تحقيقِ أَحْلامِهم ؟! » .

ولِكَىْ تُجيبَ عنْ تساؤلِهَا ، رأتهَا الجماهيرُ تهبُّ واقفةً فى حَماسٍ ، ثُمَّ انطلقَتْ تصفِّقُ فِى حرارةٍ وتهتفُ بالنَّاسِ :

« .. يعيشُ الفارسُ الأميرُ شهرمان ولِىُّ عهد شيراز » .

لقد قــرَّرَتْ وهى تهتفُ ، أَنْ تضَعَ نهايةً حاسِمَةً سـعيدةً لإخضاعِ حياتِهَا لتفسيراتِ الأحلامِ الخادعَةِ !! .

وسكتَتِ الجماهيرُ لحظةً لتستوعبَ معنَى كلامِ الأميرةِ ...

ثُــمَّ انفجــرَ التصفيقُ والهتافُ مــرَّةً ثانيةً ، بينما المَلِــكُ يردِّدُ فى حيرةٍ : « أنا لا أفهمُ كلَّ هَذَا الذِى يحدثُ أَمَامِى ؟! » .

وانطلقَتِ الأمـيرةُ تضحكُ فِى مَرَحٍ وَهِىَ تتبادَلُ مَعَ الأميرِ شهرمان نَظَراتٍ تحمِلُ كثيرًا من المَعَانى ...

ثُمَّ طوَّقَتْ كَتِفَىْ والدِهَا وَهِىَ تهمِسُ له فِى فرحٍ :

« أَمَّا أَنَا .. فَقَدْ فهمْتُ كُلَّ شَىْءٍ بوضُوحٍ يَا وَالدِى !! » .

« تمت »



